المبحث الرابع
البرلمان المصري
والحركة الوطنية

البرلمان المصرى

نشأته:

كانت نشأة البرلمان المصري عام 1866م، وهذا يعد أول برلمان فى تاريخ مصر, وكان هذا قبل إنشاء مجلس النظار (الذى أصبح فيما بعد مجلس الوزراء) باثنى عشر عاماً, وبعد نصف قرن من بداية إنشاء الدولة المصرية الحديثة فى عهد الوالى محمد على باشا والى مصر.

ومن هنا نشأ أول مجلس نيابى فى عام 1866م, ولكن هذا المجلس كان بقرار من خديوى مصر آنذاك الخديوى إسماعيل باشا, وكان لهذا المجلس صلاحيات استشارية, وقد قيل فى أسباب إنشائه أنه كان يهدف أولاً وأخيراً الى منح مصر واجهة دستورية أمام أوربا للانتفاع بذلك فى جهود الخديوى إسماعيل باشا لتحقيق استقلاله بمصر عن الدولة العثمانية.

ولكن الخديوى إسماعيل باشا كان يريد أن يكون البرلمان المصرى عاملاً هاماً من عوامل دفع الشعب المصرى للمشاركة السياسية, وحث الشعب المصرى على النهوض بالنواحى التجارية لإنعاش الاقتصاد المصرى.

البرلمان المصرى.. والدائنين الأجانب :

شارك البرلمان المصرى فى قضايا الوطن مع حداثة نشأته, وبعد مرور عشر سنوات وبالتحديد عام 1876م, كان للبرلمان المصرى موقف معارض لضغوط الدائنين الأجانب لإلغاء " قانون المقابلة" هذا القانون الذى كان يتيح تخفيض الضرائب على الأراضى الزراعية لمن يدفع ستة أمثال الضريبة, حتى يتوافر لخزانة الدولة المصرية مورد كافى لسداد الديون الأجنبية, ومن هنا كان ذهاب نواب البرلمان المصرى إلى مقر وزارة المالية للاطلاع على الحسابات, وحصر الديون والفوائد المترتبة على هذه الديون, والكشف عن الموازنة العامة لمصر, وحصر العجز فى الموازنة, والعمل على المساعدة على تخطى العقبات, وكذلك العمل

علـى حفـظ حقـوق مـلاك الأراضـى الزراعيـة مـن المصـريين فـى مواجهـة الأطمـاع الأجنبية فى خيرات المصريين.

*** موقف الخديوى إسماعيل:**

للحـق.. وللحقيقـة مـن خـلال دراسـة مصـادر متعـددة يمكـن أن نؤكـد أن الخـديوى إسماعيل باشا كان يؤيد النواب المصريين فى مواقفهم الجادة لصالح مصر , ولمواجهة التدخل الأجنبى فى شؤون مصر, وهذا موقف يحمد للخديوى إسماعيل وهو مناصرته للحركة الوطنية.. والبرلمان المصرى الناشئ.

البرلمان.. والحركة الوطنية:

إن نشـأة أول برلمـان مصـرى عـام 1866م كانـت بمثابـة نقلـة سياسـية فـى تـاريخ الحيـاة السياسـية المصـرية, وكانـت أيضـاً بمثابـة بدايـة حقيقيـة للمشـاركة السياسـية للمصـريين فـى وقت كانـت مصـر فـى حاجـة ملحـة لهـذه المشـاركة، خاصـة وأن البـلاد كانت فى مواجهـة ضـد تيـارين همـا: سيطرة العثمـانيين أولاً, والأطمـاع الأجنبيـة ثانيـاً, ومن هنا كانت المشاركة السياسية ضرورة ملحة آنذاك.

ومنـذ عـام 1866م تـاريخ نشـأة أول برلمـان مصـرى ارتـبط تـاريخ البرلمـان المصرى بتاريخ الحركة الوطنية المصرية ضد كل أنواع الاستعمار وخاصة الاحتلال الإنجليزي الذى ظل محتلاً لمصر أكثر من سبعين عاماً.

وقد شهدت الحياة النيابية والبرلمانات المصرية تطوراً من حيث الأداء.. والسلطة, فقد تمتعت مجالس نيابية مصرية بسلطة تشريعية، وكانت هذه السلطة التشريعية تمثل قمة النضال الوطنى, سواء كان تشكيل مجلس النواب المصرى عام 1882م فى ظل الثورة العرابية التى قادها الزعيم المصرى المناضل أحمد عرابى, أو فى ظل تشكيل مجلسـى النـواب والشـيوخ إبـان دسـتور عـام 1923م, وكانـت ذروة النضـال الـوطنى، وتتويجاً لثورة الزعيم الوطنى المناضل سعد زغلول عام 1919م. ويمكننا أن نؤكد هنا

أن النضال الوطنى المصرى من أجل تحقيق الديمقراطية يعتبر جزءاً أساسياً.. وجانباً هاماً من جوانب النضال الوطنى المصرى.

أول برلمان مصرى.. كامل الصلاحيات:

كانت هبة الشعب المصرى من أجل إرساء قواعد الديمقراطية مرتبطة بالنضال الوطنى, وتمثلت فى اختيار شعب مصر لهيئته الوطنية, وتمثل هذا الاختيار ا لوطنى فى اختيار سعد زغلول زعيماً.. وقائداً لثورته," ودفع بحزبه ليحتل مقاعد أول برلمان مصرى كامل الصلاحيات, ليتولى سعد زغلول الذى أصبح رئيساً لمجلس النواب فيما بعد أيضاً - رئاسة مجلس الوزراء, وتلتف حوله الجماهير لتواجه الملك دفاعاً عن الدستور, وعن مبدأ الملكية الدستورية المقيدة" [1].

ومن مجرى الأحداث يتأكد لنا تاريخياً أن القضية الوطنية المصرية ظلت تؤثر إيجاباً.. وسلباً على الأداء فى البرلمان المصرى, بل يمكن أن نقول: أن القضية الوطنية ظلت هى محور أداء البرلمان المصرى.

وفى ظل الاحتلال الإنجليزي لمصر استمر البرلمان في أداء رسالته الوطنية, ولقد عبر نواب مصر الأوفياء لوطنهم عن تأييدهم للنحاس - وكان هذا التأييد من الأغلبية والمعارضة على حد سواء - فى قراره بإلغاء معاهدة عام 1936, واتفاقيتى السودان, وما انطوى عليه هذا الإلغاء من إنهاء عصر المفاوضات السلمية مع الاحتلال الإنجليزي الجاثم على صدور المصريين, وبداية عصر المفاوضات المرتبطة ارتباطا وثيقا بالكفاح المسلح ضد هذا المستعمر.. المحتل, وكان لهذا الارتباط بين البرلمان المصرى والحركة الوطنية أثره فى قيام ثورة 23 يوليو عام 1952 م وإنهاء الاحتلال الإنجليزي لمصر عام 1954م.

* * * * *

(1) سامى مهران - حكايات برلمانية - ص1، ص11 وما بعدهما.